



دلالة المقاومة في الفلسفة الدولوزية

The significance of resistance in Deluzian philosophy

ريم منصور

المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات المهدية جامعة المنستير، تونس

rim.mansour86@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/07/07

تاريخ القبول: 2024/01/07

تاريخ الاستلام: 2023/08/19

Summary

We try in this paper to seek to press the meaning of resistance in Deleuze, where we have conceived that this concept is complex which carries various meanings according to the multiplicity of the fields in which this philosopher formulated his conception of the act. of resistance, but despite the diversity of areas in which the concept of resistance manifests itself, it seems to refer to the meaning of confronting the illusions and deceptions that have been adopted to deceive and captivate humanity through the system of similarities.

Keywords : resistance ; confrontation ; delusions ; mislead ; deception

المخلص

لقد حاولنا في هذه الورقة البحثية تحديد دلالة المقاومة لدى دولوز، حيث أدركنا أنّ هذا المفهوم هو مفهوم متشعب يحمل معانيا متنوعة نظراً لتعدد المجالات التي صاغ فيها هذا الفيلسوف تصوره لفعل المقاومة، لكن رغم تنوع الحقول التي تتمظهر فيها مفهوم المقاومة، فيبدو أنّه يحيل إلى معنى مجابهة الأوهام والمخاتلات التي اعتمدت لتضليل الإنسانية وأسرها بواسطة نظام التشابهات.

الكلمات المفتاحية: مقاومة؛ مجابهة؛ أوهام؛ مخاتلات؛ تضليل.



مقدمة:

لا شك أن فعل المقاومة جاء لمجابهة الممارسات اللاإنسانية التي شهدتها الواقع مثل القمع، العنف، الإحتلال والإستعمار والإستعباد. وهو يُعتبر بمثابة كفاح ضدّ الظلم المعتمد على القوة العسكرية أو السياسيّة من أجل تحقيق الإستقلال الكامل سياسياً، فكرياً وإقتصادياً. تتخذ المقاومة أشكالاً متعددة ومتنوعة ونذكر منها المقاومة العسكرية أو المسلحة، المقاومة الفكرية أي الكتابة والإبداع، فهي تشترك رغم إختلافها، في بلوغ غاية جوهرية تكمن في تحرير الإنسان من قحط هذا الواقع الذي تسوده الصراعات والحروب والذي يتسم بهيمنة القوى الظلامية التي تحث على نشر الجهل ورفض جميع أشكال التنوير الفكري.

وإذا كانت الفلسفة تشغل بتغيير ما هو كائن نحو الأفضل، فهذا يعني أنّ مصطلح المقاومة هو ميزة جوهرية للفكر الفلسفي الذي يكتب للضعفاء، المقموعين، المهمشين والمنبوذين، وهنا لن تكون الفلسفة سوى فعل كفاح متواصل ضدّ جميع أشكال الإستعباد أو الموت الذي تنشره القوى السلبية الكارهة للحياة، لذلك تحتل المقاومة الفلسفية مكانة مرموقة لدى "دولوز" لأنها تسعى إلى تحرير الحياة من السجون التي أقامتها القوى النافية للحياة التي إتسمت بانتشار الغباء في جميع تجلياته وهيمنة الإستعباد أو القهر الذي مورس على الفئات الضعيفة في ظل الانتشار الرهيب للإيديولوجيات المغلقة.

إذن ما المقصود بالمقاومة الفلسفية لدى "دولوز" وفيما تتمظهر؟ وما علاقتها بفعل الإبداع؟



تكمن أهمية هذه الورقة البحثية في إثارة الإشكال المفهومي لدلالة المقاومة في الفلسفة الدولية لوزية الراضة لجميع الخطابات التي تتعمد اقضاء القوى الفاعلة المتجاوزة لنظام العادات والحقائق المطلقة محاولين ربط هذا المفهوم بالفعل الإبداعي الذي يعني خلق مجموعة من المفاهيم المعارضة لما هو سائد وبناءً على ذلك يمكن أن نلخص الأهداف الأساسية لهذا البحث في مجموع نقاط معينة وهي تعريف المقاومة في أبعادها المتنوعة لغويا، سياسيا، اجتماعيا، فلسفيا، ومن ثمة إبراز مفهومها لدى فيلسوف الفرق والمعاملة وأخيرا طرح علاقتها بالإبداع الفلسفي.

1. مفهوم المقاومة وفلسفة المقاومة

1.1. في دلالة المقاومة

يبدو أنَّ مفهوم المقاومة هو مفهوم شامل ومتشابه نظراً لتعدد الخطابات الفكرية التي حاولت الإشتغال عليه، بداية ينبغي علينا تبيان الدلالة اللغوية لهذا المفهوم المتشعب ومترامي الأطراف، لغة هو مصدر لفعل قاوم، ويُقال قاوم الشعب المحتلين أو المستعمرين أي واجههم، ويتم هذا الفعل بتكوين حركات شعبية مسلحة معارضة تشن مجموعة من الهجومات المسلحة على العدو المحتل. وقد يحمل في بعده اللغوي معانيا متعددة نذكر من أوكدها: المعارضة ورفض الخضوع لإرادة الآخرين، الدفاع عن النفس، عدم الإستسلام والصمود ومواجهة العدو بالثبات والحزم. (موقع المعاني، ص 1)

أمّا اصطلاحيا تعرّف المقاومة بكونها توظيف لجميع أشكال العمل المعبر عن رفض الإحتلال أو وجود نظام قمعي، مستبد، وبالتالي تلتجئ المقاومة إلى إستعمال كافة أساليب الكفاح ضد القوى المحتلة والمنهكة لحقوق الإنسان وحرياته. (هداج، 2010، ص 06) ونستنتج من خلال هذا التعريف أنَّ فعل المقاومة يحيل إلى معنى



الكفاح أو المواجهة والاستبسال في الدفاع عن الحق وإزالة الظلم بواسطة وسائل مشروعة.

وسياسيا يمكن تعريف المقاومة بكونها مقاومة سلمية وهي تعتبر من أرقى طرق المقاومات المحبذة في الدول الديمقراطية التي تسعى إلى حل كافة المشاكل التي تعترض مختلف المجتمعات بصورة سلمية دون اللجوء إلى المواجهات المسلحة ونذكر في هذا السياق من أبرز وسائل المقاومة السياسية، الأحزاب، الإحتجاجات الشعبية، مجلس الأمن أو منظمة الأمم المتحدة في ظل وجود مشكل الإستعمار المستبد وغير معترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها. (عتوم، 2022، ص 1)

على المستوى الإجتماعي تعني استراتيجية مقاومة إجتماعية متكونة من مجموعات صغيرة مستقلة تسعى إلى تحدي المؤسسات والأنظمة القمعية والرد على الظلم الواقع على فرد أو جماعات معينة لتحريرها من شتى أنواع الظلم وأنماطه، فالمقصد الجوهري من فعل المقاومة الإجتماعية يتجلى في تهمين الفكرة التالية: وهي التعبير عن آلام الشعوب التي تعاني من الإضطهاد والقهر الحاصل من قبل الأنظمة المستبدة، لذلك ينبغي أن تشمل هذه المقاومة المجتمع بأكمله حتى يتسنى له الوصول إلى الهدف الأساسي الذي تنشده الإنسانية والذي يكمن في فعل التغيير الحق، لذلك تسعى السوسيلوجيا مع "آلان توران" إلى تحرير الإنسانية من النسق المنظم الذي يفرض وجوده بواسطة مفهومي التكيف والانضباط الإجتماعي وحثها في نفس الوقت على الفعل الإجتماعي الذي يقاوم المعطى. (فرح، ص 1)



1. 2. فلسفة المقاومة:

يعرف "أندريه لالاند" المقاومة بفعل معارض لحركة ما أو عادة معطاة وقد تعني أيضا كبح لأهواء وكبتها. (لالاند، 2001، ص ص 1214-1215)

تسعى الفلسفة منذ ظهورها وانبجاسها إلى مقاومة الجهل مقابل إدراك المعارف العقلية المنزهة عن الظن والوهم ولعل "أفلاطون" هنا محق عندما بين لنا أنّ غاية الفلسفة تكمن في تجاوز الحقائق المزيفة المتواجدة في عالم حسيّ تسوده الآراء الخاطئة والمظلمة، ويبدو أنّ المسعى الأساسي للفلسفة الأفلاطونية من خلال معارضة الجهل الناتج عن عالم المادة هو دعوة النفس إلى تذكر المعارف التي قد اكتسبتها في عالم مفارق، لذلك فهي مجبرة على مقاومة أو معارضة المعارف الحسية التي تميز عالم المادة، وعلى هذا الأساس يتمكن الإنسان الفاضل من التخلص من المعارف الوهميّة من أجل تذكر المعارف الأزلية التي تميز العالم الأصلي.

تعني الحكمة قدرة الإنسان على تذكر المعارف المتواجدة في عالم ما قبل حسي، وإذا قلنا هنا إنّ المعرفة تذكر، فإنّ الجهل يعني حتما نسياناً، لذلك تقاوم الفلسفة السقراطية الجهل النابع عن عالم المحسوسات المتسم بهيمنة المعارف المشتتة غير منتظمة والعرضية مقابل حثها على ضرورة الارتباط بالأفكار الصحيحة، المنتظمة، الثابتة والمنتمية إلى عالم الماهية الأصلية. (Robin, 2011, p.67)

إن الخطاب الفلسفي هو خطاب مقاوم لرداءة الواقع وسيطرة الجهل عليه، ومن هنا نلاحظ وجود علاقة تكامل أو تعاضد بين فعل المقاومة وبين التفلسف كنمط تفكير مواجه لجميع أشكال القحط الفكري وهيمنة الطابع اللاعقلاني في حياة العامة، لا شك أن رائد الفلسفة الحديثة قد أسس علاقة تضامن بين الفلسفة بوصفها شك في



جميع الموجودات أو الحقائق التي تبدو صحيحة وبديهية وبين فعل المعارضة أو المقاومة التي يضع كل ما هو ماثل أمامه موضع مسألة وشك أي أنّ "فيلسوف الكوجيطو" يقاوم ويعارض الأفكار البديهية المنزهة عن المسألة والتي تُوقع الذات في التسرع والظن « لا أقبل أبداً أي شيء كحقيقة دون أن أعرف [معرفة] جلية أنه كذلك: أي أن أبتعد تمام الابتعاد عن التسرع والظن، وأن لا أشمل بأحكامي أكثر مما يتقدم لفكري بقدر من الوضوح والتميز لا يدع أية فرصة للشك. » (ديكارت، 1987، ص ص 64-65) ونستنتج من خلال هذا القول لديكارت أنّ الفلسفة لديه تجابه تلك الحقائق المقدمة لنا بوصفها حقائق بديهية لا تقبل الشك و من هذا المنطلق نستطيع ربط فعل المقاومة لدى هذا الفيلسوف بالشك الذي يرفض التسرع في الحكم وإدعاء اليقين.

تزداد مكانة الفلسفة يوماً بعد يوم لأنها ترفض وتجاهه كلّ ما هو منبوذ وغير مرغوب فيه وتحاسب أو تهدّد أصحاب السلط الممّعين في نشر الجهل أو التخلف بين كافة البشر ومنعهم من التفكير الحرّ الذي يدحض نظام البدهة أو العجز الكلي عن حسن توظيف العقل، وفي هذا المعنى أشار "كانط" في نصه الشهير الإجابة عن سؤال ما هي الأنوار؟ إلى أنّ مهمة الفلسفة تكمن في تحرير البشرية من جميع أشكال القصور المفروضة عليها، مدرّكاً أنّ الجبن والكسل هما السببان في بقاء الكثير من البشر قصرّاً عاجزين عن بذل أيّ جهد فكري يمكنهم من مجابهة العراقل التي تعترضهم يومياً، لأنهم تعودوا على خلق أوصياء متكلفين بمراقبتهم ومنعهم من التفكير في كل ما هو معطى وهم ملزمون باتباع نظام العادات دون نقد أو مواجهة فكرية صارمة. (كانط، 2005، ص ص 85-86)



تعني المقاومة لدى "كانط" مقاومة القصور الذي أصبح بمثابة الغريزة الطبيعية لدى البشر وهذا ناتج عن عجز الإنسان عن استعمال عقله والتحرر من الأوصياء الذين يمنعونهم من التفكير بنفسه، لأن التفكير يحوّل له التمرد على من يُسهم في تلقين المعارف والأحكام. (كانط، 2005، ص 87) ؛ لذلك لا يستطيع شعب ما بلوغ التنوير بسرعة مذهلة ما لم تتوفر فيه إرادة قوية تستطيع مقاومة الكسل أو الركود الفكري، ومن هذا المنطلق يمكن القول إنّ المقاومة بالمعنى الكانطي لا تعني خراباً ودماراً، بل هي إصلاح لنمط تفكير مرتكز على التلقين والخضوع إلى أحكام مسقطة بصفة قبلية « فإن الجمهور لا يبلغ الأنوار إلا ببطء. ويمكن فعلاً لثورة أن تؤدي إلى الإطاحة بالاستبداد الشخصي والإضطهاد القائم على التعطش إلى المال والهيمنة، ولكنها لن تؤدي أبداً إلى إصلاح حقيقي لنمط التفكير، بل بالعكس ستقوم أحكام مسبقة وجديدة.» (كانط، 2005، ص 87) إذن يمكن القول إنّ المعارضة أو المقاومة لدى كانط ترتبط بضرورة الإطاحة بنظام إستبدادي و تعويضه بأخر أفضل منه أي أنّها تهدف الى تنوير عقول البشر الذي يعدّ بمثابة الغاية الجوهرية للفلسفة الكانطية.

إنّ الثورة الحقيقية لدى كانط في هذا المعنى تعني إصلاحاً حقيقياً لنمط التفكير، فلا يمكن أن تحقق أي نجاحاً باهراً إذا لم يكن شعارها الجرأة الحقيقية على إصلاح الأفكار بواسطة النقد.

لا ننكر أيضاً أنّ المقاومة في الفلسفة تكتسي بعداً سياسياً لكنّها لا تعني عنفاً أو حرباً، بل هي مقاومة سلمية تهدف إلى الاعتراف بحقوق المواطن وحمايته، وقد نشأ هذا المفهوم بصفة خاصة في العصر الحديث إثر بروز النظريات الفلسفية الحديثة التي ترفض فكرة الحكم الفردي والمستبد الذي يجبر الأفراد على التنازل الإرادي لكافة



حرياتهم لفائدة حاكم ذي حكم مطلق، وفي هذا المعنى ينتقد "جون لوك" تلك المواقف التي تعتبر أنّ السلطة السياسية تمارس نوعاً من القسر على المحكومين. (منصف، 2008، ص 45) لذلك تصبح السلطة السياسية مشرعة لقوانين تحترم الحريات السياسية للمواطن وتنشغل بتحقيق المصالح المدنية للشعوب، «إن شغل الدولة هو حماية الجماعة من المخاطر التي تهددهم...» (Weil, 1996, p 140) وبمعنى أدق تتكفل الدولة بحماية شعوبها من الخطر الداخلي أو الخارجي. إنّ المقاومة في البعد السياسي الفلسفي تعني رفض الاستبداد ومجاهدته فكرياً من خلال الدعوة إلى تجاوز الأنظمة المطلقة التي تسعى إلى هتك حقوق الإنسان واستعباده.

2. فلسفه المقاومة عند دولوز

2. 1. في معنى المقاومة لدى دولوز:

يمثل «دولوز» تلك اللحظة الحاسمة في تاريخ الفلسفة المعاصرة، حيث تمكن هذا الفيلسوف من كشف ثغرات العقل الميتافيزيقي الذي أمعن في إذلال القوى الإبداعية التي تستطيع تجاوز نمط القيم المعطاة، لذلك عوّل فيلسوف الاختلاف والتكرار على نقد جميع التصورات التي تقدس فكرة العمومية ومقولة التشابه مدركاً جيداً أنّ هذه التصورات الدغمائية قد تفقّر الوجود من إبراز الاختلافات التي كانت بمثابة الشيء المنسي أو الترياق الذي يجوز نفيه أو الشر المحكوم عليه بالتكفير. (دولوز، 2009، ص 95) وتعني المقاومة لدى "دولوز" مقاومة الحماقات الناتجة عن عالم التشابكات الذي يتسم بالطابع المطلق والمتناهي للمعارف والقيم. إنّ الحماقات التي تميز الواقع تفرض ما هو متجانس مع القيم المتواجدة التي تبدو مطلقة ورافضة للاختلافات حيث



تتمكن المرجعيات الفكرية من إدراجها لسلطة الهوية أو المفهوم. (دولوز، 2009، ص 90-91)

يشترك «دولوز» مع «نيتشه» في معارضته لقيم الانحطاط التي تجحد الحياة وتعول على نفيها ونقلها تحت سيطرة القوى الإرتكاسية التي تجعلها متصاغرة جدًا ومتجهة نحو العدم. (دولوز، 1993، ص 124)

إنّ فائدة الفلسفة كما أشار إلى ذلك "دولوز" في كتابه "نيتشه والفلسفة" تكمن في عدائها تجاه تعاليم الكنيسة التي تحاول نشر العبودية والحقق وشنّ الخناق ضدّ القوى الفاعلة والمبدعة والمتجاوزة لنظام التشابكات أو التماثلات، وبالتالي تصلح فلسفة المقاومة إلى إثارة الحزن الذي ميز العالم الحيوي المجرد من قيمته وإلحاق الضرر بالحماقة أو جعلها شيئاً مخجلاً. (دولوز، 1993، ص 135)

يكتسي مفهوم المقاومة لدى «دولوز» بُعدًا ثوريا يسعى من خلاله إلى فضح سفالة الفكر التي أسهمت في نشر المخاتلات والأكاذيب المعتمدة لتضليل الإنسان وكشف الأوهام التي روجتها القوى الإرتكاسية التي تحمل في ذاتها ذلك المزيج من السفالة، المخاتلة والحماقة، الذي يشكل تواطؤ القوى النافية لقيمة الإبداع ضدّ الأرواح الحرة المقاومة لحساسة القيم ومرجعياتها ولنظم الحماقة التي تشكلها الثقافة السائدة.

لا تخفق الفلسفة عندما تؤسس لخطاب معادٍ ومكافح للإضطغان أو الحماقة التي يرتكبها الفكر نفسه عندما يعجز عن كشفها وفضحها، لذلك ينبغي على الفيلسوف أن يكون نجما مذنبا لأنه يجعل من الفكر الفلسفي فتًا نقديا يتمكن من معارضة القيم والفاعليات السائدة. (دولوز، 1993، ص 136)



يشرح «دولوز» إلى وجود الفيلسوف الذي يقاوم ويعارض حماقات زمانه والأكاذيب التي روجها رجال الدين، الدولة، لذلك ينبغي عليه تأسيس فلسفة تتعارض مع الزمان الحالي؛ « إن الفيلسوف، المعاكس لزمه دائما، وناقد العالم العالي والمغاير لزمه مع زمننا، ... إن التفكير بصورة فاعلة، إنما هو « الفعل بصورة لا حالية، إذا ضد الزمن، ولذلك بالذات على الزمن، لصالح زمن قادم كما أمل) ...» (دولوز، 1993، ص 137) ونلاحظ من خلال هذا القول أنّ الفيلسوف الفاعل هو ذلك الفيلسوف الذي يفكر ضد السائد وأكاذيبه من أجل التأسيس الجيد لزمن جديد معارضا لزمن الحاضر، وفي هذا السياق يعترف صاحب كتاب "الاختلاف والتكرار" بأهمية الفلسفة النيتشوية التي جعلت من الفكر الفاعل نقداً للحماقة التي ميزت الثقافة الغربية وفضحاً للأوهام التي نشرتها القوى الإرتكاسية. لا يسعنا أن نقول إنّ الفلسفة الدولوية أتت لمقاومة صورة الفكر الدغمائية التي تؤمن بوجود المثاليات المتعالية، المفترضات المسبقة، الأصل المتعالي، وفكرة العالم المفارق المتسم بالحضور الثابت والمتميّز باستقلاليته عن كلّ شيء مرتبط بالواقع البراني.

2.2. المقاومة في بعدها السياسي لدى دولوز

إنّ المقاومة السياسية في الفلسفة الدولوية تحيل إلى نقد أو معارضة الأنظمة السياسية التي تنتمي إلى الإيديولوجيات المطلقة التي تزعم بأنها تقدر على تنظيم الحياة الاجتماعية بواسطة مجموعة قواعد أو قوانين مطلقة ملغية لحقيقة التنوع البشري. لا شك أن المقاومة الدولوية للأنظمة التوتاليتارية أتت من أجل فضح سياسات الإقصاء التي تمارس ضدّ الأقليات التي ترادف كلمة "الميكروسياسي"، وقد تحمل هذه الفئات ذلك الموقف المعادي لتلك الأنظمة الشمولية التي تنفيها من توجهاتها المكروسياسية،



وقد يمثل الميكروسياسي خطرًا كبيرًا على الدولة الحديثة التي تنعته بالمنحط السياسي). (Mengue, 2003P. 42)

تكمن مهمة المثقف لدى "دلوز" في التفكير ضد السلطة، حيث لا ينحصر دوره في نقل المعلومات كما هو الأمر مع الصحفي، بل يعلن وبصريح العبارة عن مقاومته للنظام التوتاليتاري وصراعه ضدّ قمع السلطة حيث يتمكن من كشف ما هو مستور عنه في نظام قمعي يمنع التفكير في الهامش المقصي؛ « إن دور المثقف لا يمكن أن يكون صحفياً أي أنه يختص في نشر المعلومة فقط، بل أن يعلن صراعه ضدّ السلطة، إنه صراع يوظف لكشف كل ما هو غير مرئي ومسكوت عنه. » (Mengue, 2003,P42) ' إذن إنّ المثقف الحقّ هو الذي يصارع السلطة السياسية ويفضح مكبوتاتها و تجاوزاتها المخفية و المسكوتة عنها.

تمكنت التصورات السياسية للدولة الحديثة الديمقراطية من تأسيس نظام سياسي مطلق متشبه بفكرة الأساس أو الأصل لذلك يُعوّل "دلوز" على تحرير الفعل السياسي من أسر الحقيقة التي تنتج عن العقل ومن قيود القيم الميتافيزيقية لأنّه ينحو نحو تأسيس فلسفة الميكروسياسي التي تسعى إلى مقاومة مركزية اللغوس ومعارضة فكرة الأصل الذي يُعدّ مشكلاً كاذباً حيث نجحت الأنظمة الديمقراطية في فرض مقولة الوحدة التي تحمي الفوارق بالإعتماد على مفهوم الهوية والرأي الواحد أو المشترك الموظف لمجموعة قوانين معيارية يكون هدفها الأساسي نفي الاختلافات وإقصاء الكثرات المتنوعة وإدراجها تحت منطق النواميس المشتركة التي تتجسد في شكل قاعدة قانونية أو تعاقد مُبرم بين جميع إرادات متنوعة ومُختلفة، يقاوم "دلوز" إذن الديمقراطيات الحديثة التي تعتمد على قواعد إلزامية للتحكم في الإرادات الفردية والحدّ من حريتها



ووضع نظام شمولي يعمل على تأسيس العنف وقمع كل ما هو مخالف للنظام. (Mengue, 2003, p45)

يُولي فيلسوف الاختلاف والتكرار قيمة عليا لمفهوم الفوضى الذي يُساعده على مقاومة الأنظمة المطلقة والشمولية الرافضة لإمكانات النقاش والحرية التي تعتمد على "الدوكسا" لفرض مجموعة من العادات أو التقاليد التي تصبح بمثابة مسلمات جاهزة تحوّل لها دحض كل ما هو مُعرض للنقاش. (Mengue, 2003, p45)

كشف لنا "دولوز" في فلسفته السياسية ثغرات الدول التي تتأسس على مفهوم الحق، مبرزاً أهم مخاتلاتها وخدعها لأنها لن تكون في الحقيقة سوى مجموعة من الدول التي تسعى إلى نشر العنف، وإذا كان أغلب الفلاسفة المحدثين يشرون إلى ظهور دول تحترم سيادة القوانين، فإن هذا التشريع يبدو خاطئاً ووهماً لأن أغلب الدول التي تدعي الديمقراطية لن تؤسس إلا لقوانين تخدم مصالح النظام الرأسمالي وبالتالي فهي تشرع إلى بروز أنظمة فاشية وتوتلitaria وهي في نفس الوقت منتمية إلى الدولة المكروسياسية. (Deleuze, Guattari, 1980, p 261)

إعتمد "جيل دولوز" على مفهوم السياسات الصغرى لمجابهة ومقاومة مخاتلات الأنظمة السياسية التي تدّعي حمايتها لحقوق الإنسان ونشر الديمقراطية في العالم باسم الكونية، وتعنى السياسة الصغرى (الميكروسياسية) المجال الذري الذي يتم من خلاله كشف الجانب اللاوعي للفئات الاجتماعية حيث يُساعد على كشف أساليب القمع التي تمارسها السياسات الكبرى التي أسهمت في ظهور الفاشية الخطيرة التي تُشبه المرض الفتاك الذي ألحق بالبشرية. (Deleuze, Guattari, 1980, p 262)



يواجه "دلوز" الأنظمة الحديثة التي أمعنت في إذلال الطبقات الشغيلة واستغلالها من أجل تحقيق الكسب أو الثراء الإقتصادي الناجم عن اكتساح السوق العالمية لصالح الطبقة المالكة لوسائل الإنتاج التي أصبحت تشترع لمجموعة من التنظيمات تدعو من خلالها إلى العمل المضاعف وبذل الجهد من أجل تراكم الإنتاج الذي يكون لفائدة الطبقة الماركنتلية. (Deleuze, Guattari, 1980, p 310)

وهنا نستطيع الإقرار بأن الدولة الحديثة لن تسهم إلّا في نشر الطبقية أي تقسيم المجتمعات إلى طبقات مهيمنة تمتلك وسائل الإنتاج حيث يحق لها التصرف والتحكم في جميع القواعد الأكسولوجية التي تشترعها الدولة، وفئات أخرى ضعيفة ومهمشة تجبر على إتباع هذه القواعد والانقياد لها من أجل خدمة المجتمع البرجوازي الذي يسعى دائما إلى الإستغلال الفاحش للطبقة الكادحة إلى حد العبودية في المصانع ونستنتج أن الإنسان ليس عبدا بطبعه بل أنّ عبوديته ناتجة عن الآلة الإجتماعية التي تفرضها الطبقة المهيمنة. (Deleuze, Guattari, 1995, p 312)

إنّ البروليتاريا أقلّيات وقع إقصائها من قبل الطبقة البرجوازية الثرية لإمتلاكها لوسائل الإنتاج كالألات، رأس المال والمصانع الكبرى، وخوّلت لها هذه المكانة سحق الطبقة الشغيلة ومراقبة رغباتها وحصرها في بعد واحد وهو رغبة الإنتاج، ويبدو أنّ الإنسان في هذه الحالة لا يُنظر إليه إلّا من زاوية إنتاجية بحتة، وبالتالي نلاحظ أن "دلوز" يعوّّل على فضح وتعرية مخاتلات الدولة البرجوازية التي نجحت بواسطة فكرة "فك الترميز" (décodage) في عزل الرغبة وتعويضها بمنطق الإنتاج، أي جعل الطبقة الشغيلة في خدمة النظام المهيمن مقابل كبح رغباتها أو قمع اللوبيدو وعمقت السلطة السياسية الفجوة بين الطبقة المهيمنة والبروليتاريا التي أصبحت تحت سيطرة



الأسياد الذين يمتلكون حرية التحكم في الطبقات المستعبدة واستغلال جهدها وقمع رغباتها وحصرها في البعد الإنتاجي. وهذا يعني أنّ الطبقة الرأسمالية تمكنت من ضبط "الشيئزوفرنيا" بواسطة مجموعة من القواعد الأكسيلوجية التي حولت "الشيئزوفرنيا" إلى رغبة إنتاج اجتماعي. (Deleuze, Guattari, 1995, p 326)

يهدف "دولوز" من خلال مواجهته للأنظمة الرأسمالية إلى إعادة الاعتبار للهامش أو الآخر المقصي والمستبعد وهو الإنسان بوصفه رغبة، فهذا الكائن ينتمي إلى تلك الفئات المستبعدة والمُعتَبة عن نفسها التي لن تشتغل إلا لتحقيق مصالح غيرها دون الإهتمام بحاجياتها الذاتية.

يسعى صاحب كتاب "ألف ربوة" إلى إعادة الاعتبار للأقليات المنسية والمهمشة بصفة علنية، وتبعاً لذلك يصرّ هذا الفيلسوف على الصمود في وجه الأنظمة البرجوازية التي تستبعد الفئة الشغيلة لتحقيق مصالحها بالاعتماد على قوانين ووظّفت لمنع الرغبة من التدفق وفرض آليات التحكم فيها كي ترتبط تحقيق مكسب الربح ، « إنّ خلق الأكسيومات وفي علاقته بمجالات الغزو ومصادر الكسب، لا يتعلق فعلاً بمشكل الحرية أو الإرغام، ليس بمركزية أو لا مركزية، بل كيفية التحكم في التدفقات.» (Deleuze, Guattari, 1980, p 577) ونستخلص من خلال ذلك أنّ فيلسوفا يعارض تلك الأنظمة الرأسمالية التي تعتمد كبح الرغبات وقمعها بواسطة قواعد أخلاقية التي تجعلها رغبة إنتاج.

يتوق "دولوز" من خلال مواجهته للسلطة السياسية إلى التحرر من تلك الإيديولوجيات التي تدّعي تشبّثها بمجموعة أفكار مدركا أنّ جل الحركات الإيديولوجية هي حركات مغلقة، دغمائية، وتوقية ونافية للحريات وهذا النفي قد يتمظهر في إقصاء



الإختلافات والكثرات المتعددة، لأنها ترنو نحو تأسيس الأنظمة التوتاليتارية التي تدعم وجودها بمجموعة أحكام أو أفكار مطلقة تجعلها تقصي مفهوم الوسطية. وتعني المقاومة في الفلسفة السياسية الدولوية تعرية وفضح خطابات الحركات الديمقراطية التي تتغني بقيم التقدم، الحرية، التنوير واحترام حقوق الإنسان والتي لم تنجح إلاّ في نشر الخراب في العالم، فهذا يعني أن الديمقراطية الحديثة تتشارك مع الدول النازية والفاشية في نشر سياسة الانتشال الإقليمي والإستعمار، وفي هذا المعنى يقول دولوز: «نظرا لهذا السبب تكون الدول الديمقراطية كما تمت ملاحظة ذلك مرارا، شديدة الإرتباط بالدول الديكتاتورية ومتورطة معها بحيث يصبح من الضروري أن يمر الدفاع عن حقوق الإنسان أولا ينقد داخلي لكل ديمقراطية.» (دولوز، غتاري، 1997، ص 119) وهنا نستطيع القول إنّ المعارضة ترتبط بنقد داخلي لتلك الأنظمة الديمقراطية التي تدعي تحررها من الأنظمة الكليانية وذلك من أجل الدفاع عن حقوق الانسان التي لا زالت مهظومة.

إن النظام الرأسمالي الذي يفرض نفسه باسم الديمقراطية، هو مقبرة لجميع الحقوق لأنه تأسس على أسس وهمية خولت له إخفاء المكر أو الدهاء والرداءة الفظيعة التي سمحت له بخلق حياة مبتذلة و منحطة تحكمها التواطؤات المدمرة لحقوق الإنسان، لذلك يُجمل "دولوز" الفلسفة مسؤولية الدفاع عن الضحايا، وإذا عجزت عن هذه المهمة فستصبح حتما شبيهة بذلك الحيوان المحتضر. (دولوز، غتاري، 1997، ص 120)



2. 3. المقاومة والإبداع (الجانب الاستطبيقي)

أسس فيلسوف الفرق والمعاودة علاقة تكامل بين مفهومي المقاومة والإبداع، إذ لا يمكن أن نشرّع لتصور فلسفي لهذا المفهوم (المقاومة) دون ربطه بفعل الإبداع الذي يُحوّل للفيلسوف الحق التحرّر من أسر نظام التشابكات وسلطة العادة، ومن هذا المنطلق نستطيع تعريف الفلسفة بذلك الفعل الذي يُسهم في إبداع مفاهيم جديدة. (دلوز، غتاري، 1997، ص 30)

إنّ مفهوم المقاومة في بعده الجمالي يشترط وجود شخصيات مفهومية مبدعة تمتلك تلك القدرة الكافية على هذا الفعل الذي يُريد تحرير الفكر الفلسفي من أسر التأمّلات التي لن تحاكي إلاّ الأشياء في ذاتها. (دلوز، غتاري، 1997، ص 30)

ليست الفلسفة تأملاً ولا تفكيراً ولا تواصلاً لأنّ هذه التعريفات قد تجعل الفلسفة نفسها حبيسة الكليات التي تُعدّ بمجموعة من العموميات الفارغة والمروجة لمفاهيم الهويات المغلقة، التطابق، التماثل والتشابه، في حين تبدو أنّ الغاية الأساسية من وجود الفلسفة لدى "دلوز" في تحرير الإنسانية من سجن "الهو هو" وسيطرة الحقائق والقيم المعطاة والمتأسسة بصفة قبلية، وقد يشترط فعل الإبداع الحق وجود شخصيات مفهومية ومعارضة لما هو معطى، وعلى هذا الأساس يشير في كتابه "ما هي الفلسفة" إلى أنّ الفيلسوف ينبغي أن يكون صديقاً للمفهوم أو هو بالأحرى إنّّه بالقوة مفهوم، وقد تعني صفة الصداقة التي تربط بين الفيلسوف والمفهوم تلك اللحمة التي تجمع كلّ من النجار وحارس الغابة وصانع الخشب بالخشب، وهنا قد لا يتخلى هؤلاء عن الخشب كما هو الشأن مع الفيلسوف الذي يُعدّ صديقاً حميماً للمفهوم. (دلوز، غتاري، 1997، ص 34)



إنَّ الشخصية المفهومية هي شخصية إبداعية ومقاومة بامتياز وظفت لكي تقضي على المفاهيم التي تبدو معطاة بكيفية مطلقة لا تقبل الجدّة، وهي تسعى من خلال فعلها الإبداعي المقاوم إلى تأسيس صورة جديدة للفكر تبدو متحررة من سجن الهوية أو التماثل لغاية إبراز وجود إرادة فاعلة، إثباتية ومبدعة لقيم تقطع مع نظام التشابهات. (دولوز، غتاري، 1993، ص 222)

ومن ثمة يجب أن نعتزف بأنَّ فعل المقاومة وعلاقته بالإبداع في معناه الدُولوي يشترط وجود فعل التدمير الذي يُعد سمة جوهرية للشخصية المبدعة والمقاومة للتعاليم السائدة لأنَّ هذا الفعل (التدمير) هو فعل خاص بإنسان يُريد الهلاك مقابل تجاوزه لنمط الحقائق المعطاة ويعبّر أيضا عن حقيقة الإنسان المبدع. (دولوز، غتاري، 1993، ص 277)

يَشترطُ على الشخصية الإبداعية المقاومة، التحرر من المجتمعات التي تفرض الإكراه والإقناع وأن تحمل في ذاتها الإنفعال الخلاق الذي يُسمى احتجاجا يَمكِّن الشخصيات المفهومية في أغلب الأحوال من إمتلاك الذاكرة الكونية التي تساعد على تحرير الإنسان من النظام المعطى، فهذا التحرر يجعله ذاتا خلاقة متناغمة ومتوافقة مع كلّ حركة خلق. (دولوز، 1997، ص 131)

إنَّ المقاومة بوصفها إنفعال خلاق تمكّن الأرواح الحرة من القفز من روح إلى أخرى لتجاوز الصحاري التي يضعها المجتمع المغلق من أجل رسم صورة مجتمع مفتوح يؤمن بوجود الذات الخلاقة. (دولوز، 1997، ص 132)

يبلغ الإنسان بواسطة القدرة الخلاقة والمقاومة مطمح تخطي تعليمات المجتمع المغلق وإبداع شيء فريد يناقض نظام العادات والتشابهات وقد تخلق الذات المبدعة



مجموعة من الخيوط الهروبية، التي تعبر عن مغادرة موطنية، بيد أنّ هذه المغادرة لا تعني مجرد هروب من العالم أو نوع من التخاذل الناتج عن الإفلات عن الإلتزامات والمسؤوليات أو العزوف عن النشاط، بل هو هروب نشيط تسعى من خلاله الشخصية المبدعة إلى إبداع أساليب حياة جديدة، « ليس الهروب بتاتا العزوف عن النشاط، إذ لا وجود لشيء أكثر نشاطا من الهروب. » (دولوز، بارني، 1999، ص 51) وبالتالي يصبح فعل الهروب شكل من أشكال الرفض الذي يتمكن من خلالها الجذمور من البحث عن استراتيجيات جديدة تغير الواقع المتّسم بالرداءة و الفظاعة

يعني الهروب البحث عن أسلحة جديدة يتم من خلالها رسم خرائط تمكنا من كشف عوالم جديدة، وتبعاً لذلك نستطيع الإقرار بأن فعل الهروب لا يعني حركة هجر الوطن ومغادرته وخيانتته ولا السفر إلى مكان آخر، بل هو حركة مقاومة ومواجهة لما هو سائد داخل الوطن ذاته وتقوم بما فئات صاحبة الخطى الكبيرة والعابرة فوق خط هروبي يُلازم المكان من أجل خلق وإبتكار أسلحة جديدة. (دولوز، بارني، 1999، ص 53) ونستخلص أن الأديب الحقّ هو المثقف الذي يكتب ضدّ الطبقات المهيمنة و المستبدة لغاية نفخ الغبار عن سياساتها الإستعبادية و تعرية ممارساتها اللانسانية لذلك يجوز للأديب أن يقطع الأدب الموجه للأسّياد.

يحمل الفن أو الأدب من خلال مفهوم الهروب الذي تمارسه الفئات المثقفة تلك القدرة التي تنحرف عن الطريق من أجل مقاومة مخاتلات النظام القائم بذاته، وتبعاً لذلك يُلحّ "دولوز" على وجود قفزات عن الفواصل لأن هنالك شيئاً من قبيل المواجهة داخل خط الهروب وتعني هذه المواجهة مقاومة تلك القوى التي تعمل على إحتجاز الإنسانية داخل منطق الثبات والأوامر المطلقة، وعلى هذا الأساس تتمكن الشخصيات



المبدعة بواسطة هروبها عن تفاهات و حماقات الواقع من خلق أساليب جديدة تمكّنها من معالجة الواقع وتغييره نحو الأفضل.

تمنح الكتابة المقاومة لمخاتلات الأنظمة المفرطة في نشر الحماقات تلك الخطوط الهروبية التي تكون في ملة مباشرة بالواقع من أجل تحرير الإنسانية من المعارف المسبقة، القيم والقواعد الإلزامية والإيديولوجيات المغلقة.

لن يكون الأدب المقاوم والملتزم إلاّ أداة لمعالجة مرض الواقع الذي إتسم بفضاعته وقحطه، لذلك ينبغي على الأديب أن يكون طبيبا لمجتمعه. (Deleuze, 1993, p 14) ومن هذا المنطلق ندرك جيّدا أنّ وظيفة الأديب أو الكاتب لا تنحصر في عرض ماضي خاص بحياته الشخصية بل في تغيير المصير المتعلق بشعب محاط بالخيانة والخدع والمعاناة وهذا يعني أنه يرتبط بأشياء تخترق السائد من أجل تغييره ومعالجته.

يؤسّس صاحب كتاب "النقد والعبادة" علاقة ترابط وثيق بين الأدب بوصفه فعل مقاوم لتناقضات الواقع والسياسة التي تنشر قواعد القهر والإلزام، وهنا نستنتج أنّ الأدب الحق لا يُعزل عن الوضع السياسي لأنّه يمثّل تلك الآلة الأدبية التي تلازم الآلة الثورية أي أنّ العمل الفني يعبر عن مشاغل الشعب المهمش ويسهم في تحقيق التغيير الثوري والسياسي، وفي هذا السياق يقرّ دولوز بأن أدب كافكا هو أدب ثوري يقطع مع جميع أشكال الإستغلال والإقصاء والاستعباد المفروضة على الطبقة الكادحة، مقابل كرهه ومقاومته لطبقة الأسياد؛ « لا يوجد كبير ولا توجد ثورية إلاّ بواسطة الأقلّي، فيوجد كره لأدب خاص بالأسياد. » (Deleuze, Guattari, 1993, p 48)

يؤسّس فعل المقاومة بالمعنى الدولوزي تلك الخيوط الهروبية الإبداعية التي تتخذ شكل المغادرة الوطنية، بيد أنّ مفهوم الهروب لا يعني مهاجرة الوطن، بل هو وسيلة



تجاوز وتحرر من كل ما هو متواجد لغاية إبداع أسلحة جديدة، وهنا يمكن القول إنّ الأدب الملتزم لا ينشغل إلا بواقع الفئات المنسية التي تعيش تحت واقع التهميش والإستغلال ويدعوها في نفس الوقت إلى التمرد على هذا الواقع الرديء.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذه الورقة البحثية الإلمام بجميع الأفكار الفلسفية التي نادى بها فيلسوف الاختلاف والتكرار من خلال إشتغاله على مفهوم المقاومة وقد تبينا أن هذا المفهوم يحيل إلى معنى المجابهة، المعارضة والرفض، أي مجابهة نظام الحماقات والحق الضرر به ونقد الأنظمة السياسيّة الكليانيّة المحقرة للأقليات المبدعة والمقاومة لسياسة التهميش، القمع، الإستيطان، الهيمنة والاستعباد وإنتهينا الى إثبات وجود علاقة تكامل بين مفهومي المقاومة والإبداع وبمعنى أدق تعني المقاومة الإبداع لمفاهيم جديدة معارضة لعالم هيمنت عليه الحمافة والرداءة.

قائمة المراجع:

- دولوز، ج. (1993)، نيتشه والفلسفة، ترجمة: أسامة الحاج، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- دولوز، ج. (1997)، البرغسونية، تعريب أسامة الحاج، بيروت: المؤسسة الجامعية للنشر.
- دولوز، ج. و باري، ك. (1999)، حوارات في الفلسفة والأدب والتحليل النفسي والسياسة، ترجمة: عبد الحي أزرقان وأحمد العلمي، بيروت: إفريقيا الشرق.
- دولوز، ج. و غتاري، ف. (1997)، ما هي الفلسفة، ترجمة: مطاع صفدي، بيروت: مركز الإنماء القومي.



ديكارت، ر. (1986)، *حديث الطريقة*، ترجمة وتقديم: عمر الشارني، تونس: دار المعرفة للنشر والتوزيع.

عتوم، ر. (2022)، *ما هي المقاومة السياسية*، 3arabi.com

فرح، ع. أ. *آلان تورين ودينامية السوسيولوجيا*، مؤسسة مؤمنون بلا حدود.

كانط، إ. (2005)، *تأملات في التربية ما هي الأنوار؟ ما التوجه في التفكير؟*، صفاقس: دار محمد علي الحامي.

لاند، أ. (2001)، *موسوعة لاند الفلسفية*، المجلد الثالث R - Z، تعريب خليل محمد خليل، بيروت - باريس: منشورات عويدات.

منصف، ع. أ. (2008)، *نقد فكرة الاستبداد في العقل السياسي الحديث*، مجلة الفكر العربي المعاصر عدد 144-145، بيروت: مركز الإنماء القومي.

موقع المعاني لكل رسم. تعريف ومعنى مقاومة في معجم المعاني الجامع - معجم

عربي عربي، متاح على الرابط: <https://www.almaany.com>

هذاج، ر. (2010)، *المقاومة والإرهاب في القانون الدولي*، بن عكنون جامعة

الجزائر.

Deleuze, G et Félix, G. (1993), *kafka pour une littérature mineure*, Paris: Minuit.

Deleuze, G. (1993), *critique et clinique*, Paris :Minuit.

Deleuze, G et Félix, G. (1980), *Milles plateaux capitalisme et schizophrénie*, Paris: Minuit.

Deleuze, G et Felix, G. (1995), *t₂, l'antioedipe capitalisme et schizophrénie*, Tunis : Cérès.

Mengue, Ph. (2003), *Gilles Deleuze et la question de la démocratie*, paris: l'harmattan.

Robin, L. (2001), *Platon*, Les Echos du Maquis.

Weil, E.(1996), *philosophie politique*, Paris: Vrin.